(٦) السيدة الاولى..

بعد عدة اسابيع .. داخل القصر الرئاسي..

ألقى رئيس الوزراء فى تلك الدولة النامية نظرة سريعة على ساعته وعلى وجه يظهر القلق والتوتر وهو جالس داخل حجرة سكرتارية السيدة الأولى بالقصر الرئاسي ثم إلتفت الى السكرتير الخاص بها قائلاً له فى ضيق :

- لقد تأخرت كثيراً .. إن وقتي ثمين .. ولدى مهام كثيرة ..

ابتسم السكرتير وهو يقول بلهجة دبلوماسية :

- أعتذر بشدة .. ولكنها الأوامر .. فقد أمرت سيادتها بعدم رحيلك بعد إنتهاء لقاءك مع رئيس الجمهورية .. وإنتظارها لمناقشتك فى أمر هام وعاجل ..

هز رئيس الوزراء رأسه متفهماً وعاد يلقى نظرة اخرى الى ساعته فى الوقت الذى تصاعدت فيها أبواق سيارات الامن والحراسة فإنتفض السكرتير واقفاً هاتفاً:

- ها قد وصل موكبها ..

زفر رئيس الوزراء فى إرتياح وما هي إلا لحظات قليلة حتى ظهر فريق من حراستها الخاص وهو ينتشر فى المكان ويصطف من الجانبين حتى وصلت مكتبها الرحب الفسيح وقبل أن تجلس قالت لسكرتيرها بلهجة آمرة وبصوت صارم :

- أدخل رئيس الوزراء فوراً..

دلف رئيس الوزراء بخطوات سريعة الى مكتبها بعدما أبلغه السكرتير وجلس أمامها وساد الصمت لدقيقة كاملة كانت تلقى نظرة سريعة على بعض التقارير..ثم رفعت رأسها اليه قائلة بشئ من الحدة ودون كلمة ترحيب واحدة :

- لقد قرأت الموازنة العامة للدولة للعام القادم .. ولي تساؤل واحد (ثم ازدادت حدتها وهي تضيف) لماذا قمت بتقليص ميزانية القصر الرئاسي الى هذا الحد الكبير؟

تأملها رئيس الوزراء للحظة ثم قال وقد بدا أنه معترضا على سؤالها:

- لقد ناقشت الرئيس فى هذا الشأن ..وقد أبدى موافقته ..

هتفت وسط نظراتها النارية :

- وأنا أسألك ؟ .. فهل أنت معترض على سؤالي؟

تنهد رئيس الوزراء ثم اعتدل محاولاً الحفاظ على انفعاله قائلاً :

- ليست المسألة مسألة إعتراض يا سيدتي .. فمن حقك أن تعلمي لماذا اضطررت لذلك ..

قالت فى صرامة واضحة :

- بالضبط .. أريدك أن تتذكر دائماً أنه من حقي أن أعلم كل شئ..

تأملها رئيس الوزراء مجدداً ..فقد كان يتمنى لو ينفجر فى وجهها ويصرح لها بأنه ليس من حقها شئ طالما رئيس الدولة موجوداً وحياً يرزق ..

ليس من حقها أن تتدخل هكذا وبكل جراءة وفظاظة فى شئون الدولة العليا..

نعم هى السيدة الأولى ..

ولكن...

قاطعت أفكاره وهى تقول فى سخرية لاذعة :

- ليس أمامي اليوم كله لتتكلم ..

فتنهد وهو يقول :

- حسناً .. الدولة تعاني يا سيدتي من أزمة حقيقية ..لذلك كان لابد من اتخاذ بعض الاجراءات التقشفية حتى يمكن توفير الأموال اللازمة وتوجيهها

الى المجالات الخدمية والتى تحتاج دعم بصورة عاجلة مثل الصحة والتعليم و....

قاطعته مرة أخرى قائلة :

- ولم تجد سوى ميزانية القصر الرئاسي لتكمل ذلك العجز..

هتف مستنكراً :

- ليست ميزانيته وحدها يا سيدتي .. بل ميزانيات كافة الوزارات ..فالجميع لابد أن يشارك فى هذه الاجراءات التقشفية ..

عاد الصمت يسود للحظات ثم قالت :

- هل تعلم أن وفداً من صندوق النقد الدولي من المقرر أن يأتي لزيارتنا الأسبوع القادم وسيبقى لمدة ثلاثة أيام ..

أومأ برأسه قائلا فى إقتضاب :

- نعم أعلم ..

فأضافت قائلة :

- وإجراءاتك هذه ستمنعني من القيام بتقديم واجب الضيافة المثالي لهم ..

نظر إليها فى دهشة قائلاً:

- سيدتي إنني أتكلم عن صالح الوطن..

هبطت بقبضتها على سطح مكتبها وهى تقول فى غضب مكتوم :

- وأنا أيضاً أتكلم عن صالح الوطن..

كتم رئيس الوزراء حنقه البالغ وهو يقول:

- حسناً .. إننى أرى أنه ليس هناك أى داع لكل هذا البذخ المفرط من استيراد طعام الثلاث وجبات من المطاعم الفاخرة بأوروبا وشراء هدايا فخمة باهظة التكاليف لهم وكذلك ..

قاطعته محذرة :

- إحذر.. لقد تعديت حدودك في الكلام معي..

(توقفت باقي كلماته فى حلقه بينما تابعت هى) رضائهم هذا سيعمل على دفع عجلة المفاوضات بيننا وبينهم من أجل القرض الذى وبالتأكيد سيساعدك فى دعم ما تريده للخدمات المقدمة للشعب ..

حاول استجماع شجاعته وهو يقول :

- وهل رضائهم هذا لابد أن يأتي على حساب مصلحة الشعب .. ما ستدفعه الدولة لهم خلال اقامتهم من الممكن أن نستفيد به نحن فى الـ.

لوحت بيدها مقاطعة :

- انتهت المناقشة .. وإجراءاتك التقشفية هذه مرفوضة ...

حاول أن يرد عليها ولكنه نهض صامتاً وخرج من مكتبها وهو يضم شفتيه فى غيظ مكتوم..

واستسلام لا مفر منه ..

*****

ظهر الضيق على وجه السيدة الأولى وهى تتصفح عشرات رسائل البريد الواردة للقصر الرئاسي وبدا أنها تبحث عن شئ محدد ولكنها زفرت فى حنق وهى تتناول هاتفها الخلوي من أمامها وتبحث عبره عن قائمة الاسماء المسجلة ثم تضغط زر الاتصال وهى تتضعه على احدى اذنيها وتنتظر لحظات بعدها تهتف بلهجة قوية :

- مرحبا بوزير الثقافة .. اريدك في مهمة عاجلة .. نعم .. نعم .. اعلم انك ستغادر البلاد بعد ساعة متجها الي باريس لحضور المؤتمر الدولي لثقافات الشعوب ... اريدك وانت هناك ان تذهب الي احدي بيوت الازياء العالمية

هناك واسمه (بيار كاردان) وأسألهم لماذا تأخروا فى إرسال احدث تصميماتهم لملابس السهرة .. لقد تأخروا كثيرا... حسناً .. شكراً ..

ثم أنهت اتصالها والتفتت الى احدى الهواتف القابعة بجانبها ورفعت سماعة احداها قائلة فى اقتضاب آمر:

- أريد وزير الاسكان حالا..

وما أن وضعت سماعة الهاتف حتى رن هاتف آخر بجوارها فإبتسمت ابتسامة خفيفة وكأنها تعلم من على طرفه الأخر ومدت يدها بسرعة لترفع سماعته هاتفة :

- مرحبا بزوجي العزيز... حسنا ... ساحضر الي مكتبك حالا..

وفى سرعة نهضت من مكانها واتجهت الى ذلك الباب الفاصل بين غرفة مكتبها ومكتب سكرتيرها الخاص الذى هتفت به :

- أنا ذاهبة الأن الى مكتب الرئيس ..قم بإبلاغي فور وصول وزير الإسكان.

ثم واصلت سيرها عبر ردهات وممرات القصر فى خطوات واثقة ونظرات يملؤها التعالي والغرور لكل من قابلتهم أثناء ذهابها حتى وصلت الى مكتب الرئيس لتدخله على الفور بينما هو كان يتحدث فى هاتفه الخلوي قائلاً لأحدهم :

- نعم اريدك بعد ساعة ومعك حقيبة بها ثلاثة ملايين دولار.. (ثم استطرد فى صرامة) .. لا أريد تسجيلهم فى أى مستند رسمي.. بالطبع تفهم ما أقصده ..

ثم أنهى اتصاله بينما سألته هي فى فضول وسط ابتسامة هادئة:

- ما قصة هذه الملايين ؟

تأملها قليلاُ بوجه خال من الانفعالات ثم قال:

- انها قصة طويلة دعك منها .. واخبريني ..الا تنتهى خلافاتك بينك وبين رئيس الوزراء؟..

قطبت حاجبيها فى غضب قائلة :

- من الواضح انه اشتكي لك مثل الاطفال الصغار..

ضحك هو فى رصانة قائلاً :

- لا تأخذي الامور بهذا الشكل يا عزيزتي .. الرجل يقوم بواجبه علي اكمل وجه..

هزت رأسها قائلة :

- علي العكس انني أراه أحمق وغبي .. لا يعرف كيف يدبر أموره بعكس وزير المالية مثلاً ..

تنهد وهو يقول فى صوت بدا عليه الضيق :

- سبق ان ذكرت لكى بأن تدخلك بهذا الشكل يسبب لي حرجاً شديداً ..

عادت تهز رأسها نافية مدافعة عن موقفها:

- وانا السيدة الاولى ..ويجب علي الجميع ان يتفهم أنني أحاول مساعدتك .. اننا مسئولين عن دولة كبيرة .. اعبائها كثيرة .. وشعبها لا يكف ابدا عن المطالب..

اكتسب صوته بعض الصرامة وهو يسأل:

- وهل المساعدة تستوجب ان تلغي بعض البنود الهامة في الموازنة العامة؟

قالت فى عناد واضح :

- تلك الموازنة يجب ان يتم مراجعتها مرة اخري..

قال فى سرعة وبشئ من العصبية :

- ولكن تمت مراجعتها فعلا وقمت باعتمادها ايضاً..

قالت فى استنكار:

- هل هذا يعني انك جعلته ينتصر علي ؟

لانت ملامحه وهدأ صوته وهو يقول بصوت أشبه الى الهمس :

- يا حبيبتي .. نحن لسنا في معركة لكي يكون هناك منتصر ومهزوم..

عاد العناد الى صوتها وهى تهتف:

- ولكنني ارفض ان نقلل من ميزانية الرئاسة الي الحد الذي ذكر في الموازنة..

ضحك هو ضحكة قصيرة ثم قال :

- يا عزيزتي يوجد ألف طريقة لتعويض الفارق .. فلا تقلقي..

عادت الابتسامة الى ملامحها وهي تسأله :

- هل الثلاثة ملايين دولار التي تكلمت عنهم منذ قليل لهم علاقة بالأمر..

هز رأسه نافياً :

- لا .. لا .. إنها مخصصة لأمر آخر هام وعاجل ..

سألته فى إهتمام وفضول :

- هام الي درجة انك لا تريد تسجيله في اي مستند رسمي..

أومأ برأسه قائلاً:

- نعم .. (ثم هتف محاولاً انهاء الكلام فى هذا الموضوع) .. وهذا يكفي..

هتفت فى اصرار عجيب:

- ولكنني أريد أن أعرف..

تأملها للحظات قصيرة .. وأعماقه تؤكد بأنها لن تتركه دون أن تعرف

فزفر فى استسلام وقال :

- حسناً .. انها هدية لأحد الرؤساء فى تلك الدولة الصغيرة بالحدود الجنوبية حتي لا يوافق او علي الاقل يعرقل تنفيذ احد المشروعات العملاقة في بلاده قد تضر باقتصادنا وبمستقبلنا بطريقة مباشرة..

قالت :

- اذن هي رشوة وليست هدية..

أومأ برأسه قائلاً :

- بالضبط .. هذا هو التعبير المناسب..

وهنا تصاعدت طرقات خافتة على باب غرفة مكتب الرئيس الذى هتف بلهجة آمرة قوية :

- أدخل ..

فإنفتح الباب ليظهر على عتبته سكرتيره الخاص قائلاً بلهجة يملؤها الإحترام والرهبة ودون أن يخطو خطوة واحدة للداخل :

- أعتذر على هذا الإزعاج فخامة الرئيس .. ولكن وزير الإسكان ينتظر السيدة الأولى فى مكتبها ..

فنهضت هي قائلة وسط ابتسامة واسعة :

- حسناً .. سأذهب الأن .. ألقاك على العشاء ..

أومأ برأسه صامتاً .. وعقب خروجها من مكتبه تناول جهاز التحكم عن بعد من أمامه وقام بتوجيهه الى شاشة تليفزيون ضخم حديث وضغط زراً أحمر مميزاً به لتضاء الشاشة وتنقل بثاً لقناة شهيرة متخصصة فى الأفلام الاجنبية .. وتعلقت عيناه فى الفيلم المعروض ..

بكل استمتاع .. وهدوء..

*****